**قسم الفلسفة- كلية العلومَ الإنسانية والاجتماعية- جامعة 08 ماي 1945 قالمة.**

**مقياس: علم الكلام.**

**أستاذ المادة: رابح مراجي**

**الموضوع: الأشعري والأشعرية.**

**مقـــــدمــــة:**

تعد الأشاعرة مدرسة كلامية من اكبر المدارس التي نشأت في بداية الحركة الكلامية الإسلامية، وكان وجودها واقع بين طرفين متغالبين طرف يميل أصحابه إلي الأخذ بالعقل في مقابل النص ومالوا إلي ذلك ميلا كبيرا، وطرف ثاني اخذ بالعكس من ذلك فقد مال إلي الأخذ بالنقل والركون إليه ويمثل التيار الأول المعتزلة أما التيار الثاني فيمثله السلف( السنة) ولذلك فان الأشاعرة قد وقفت موقفا وسطا فهي لم تقل بالعقل كمنهج أو حد من أرائها الكلامية ولم تقل بالسنة كمنهج وحيد في حل بعض المسائل والقضايا، ولذلك تراها تهاجم من الطرفين، فقد نقدها متأخروا المعتزلة وعلى رأسهم القاضي عبد الجبار، ونقدها متا خروا السلف وعلى رأسهم ابن حزم وابن تيمية.

إن أراء الأشاعرة الواقعة وسطا بين الطرفين المتناقضين أضحت دستورا استمسك به الخلف إلي النهاية، واستقر بوجه خاص من القرون الأخيرة وعصور التدهور الفكري أميل إلي التقليد والمحاكاة، تعتبر بما قاله السابقون ولا بد لها على التغيير والتجديد وكم من حلول وسطا قدر لها أن تحيا وتعمر.

لقد ظهرت مدرسة الأشاعرة وارتبطت باسم احد أقطاب مؤسسها،هو أبو الحسن الأشعري، الذي كان له الفضل في تأسيس هذه المدرسة وذلك بعدما انقلب على المعتزلة وهاجم فكرهم الذي – حسبه – لا يخدم العقيدة الإسلامية بل يؤدي هذا الفكر إلي تشتيت وتفريق المسلمين،ولذلك فانه إذا أردنا معرفة أراء هذه المدرسة، فانه يجب علينا أن نعرف مؤسسي هذه المدرسة أولا، والأسباب التي أدت إلي هروبه من الاعتزال ثم بعد ذلك نعرف أفكار هذه المدرسة.

**اسمه ومولده:**

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن عبد الله بن موسي بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسي الأشعري، فهو إذا ينتسب إلي أبي موسي الأشعري احد الحكمين في معركة صفين( بين علي ومعاوية).

ولد بالبصرة سنة 260هـ ونشا في بغداد وبها كذلك توفي سنة 324هـ ودفن فيها.

نشأ أبو الحسن الأشعري في بيت علم وجاه، واخذ ينهل من علوم الدين حتى صار إماما مشهورا حيث لازم المعتزلة فترة طويلة من عمره حتى بلغ سن الأربعين وذلك بأخذه العلوم علي يد احد أقطاب المعتزلة وهو الجبائي، وقيل أن هذا الأخير قد تزوج أمه وكان عمره حوالي 10 سنين حتى لقد صار إماما في الاعتزال وكان ينوب عن أستاذه في المناظرة حيث بلغ رتبة كبيرة.

وحينما بلغ الاربيعن من عمره تخلي عن الاعتزال وانفصل عن أستاذه وكرس نفسه للدفاع عن العقيدة منطلقا من موقف مماثل لموقف السلف، وهو عدم الخوض فيما لا ينبغي الخوض فيه من أمور العقائد كالصفات لله تعالي، وإثباتها كما هي، وناضر المحدثين في أرائهم من أصول العقائد وألف كتابه" الإبانة" على أصول منهجهم حيث صرح في بدايته انه يقول بما قال به احمد بن حنبل، حيث يقول: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عزوجل، وسنة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله احمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته،وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون"، وقد أكد هذا الكلام بعض الأئمة اللاحقين، فقد أشار إلي ذلك ابن عساكر في نصه" اتفق أصحاب الحديث ا ن أبا الحسن الأشعري رضي الله عنه كان إماما من أئمة الحديث ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع".

ويقول السبكي في طبقات الشافعية" اعلم ا ن أبا الحسن لم يبدع رأيا ولم ينشئ مذهبا وإنما هو مقرر لمذهب أهل السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله(ص) فالانتساب إليه إنما هو بأنه عقد على طريقة السلف نطاقا، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك، السالك سبيله من الدلائل ليسمي أشعريا".

**مؤلفــاتـــــه:**

اختلفت أراء المؤرخين حول مؤلفات الأشعري، فمنهم من نسب إليه مئات الكتب ومنهم من قال أن هذه الكتب حوالي خمسين أو أزيد بقليل، وأيا كان هذا الاختلاف في هذه الكتب فإننا نورد بعضها:

1. العمد في الرؤية
2. الفصول في الرد على الملحدين
3. خلق الأعمال
4. الاستطاعة
5. الصفات
6. الرؤية
7. الأسماء والأحكام
8. الرد على المجسمية
9. النقض على الجبائي
10. النقض على البلخي
11. مقالات الملحدين
12. مقالات الإسلاميين
13. رسالة استحسان الخوض من علم الكلام
14. الإبانة عن أصول الديانة

**أسباب خروج الأشعري عن المعتزلة:**

تذكر الروايات في كيفية خروجه عن المعتزلة حيث احتبس في داره خمسة عشر يوما، ثم خرج إلي مسجد البصرة وارتقي كرسيا ونادي في الناس بأعلى صوته:" من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان ابن فلان كنت أقول بخلق القران وان الله لا تراه الأبصار وان أفعال الشر أنا فاعلها، وأنا ثابت مقلع معتقد الردة على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم" وخلع ثوبه وقال كما يخلع الثوب عن الجسد.

وقد تضاربت الآراء حول هذا التحول الجدري الذي وقع للأشعري، واختلفت الأسباب فوضعوا لذلك أقولا وقصصا منها:

1. رؤيا النبي(ص) حيث ذكر الأشعري قوله" وقع في صدري من بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد فقمت وصليت ركعتين وسالت الله أن يهديني الطريق المستقيم ونمت فرأيت رسول الله(ص) في المنام فشكوت إليه بعض ما في من الأمر فقال: عليك بسنتي فانتهيت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القران فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهريا.
2. مناظرة الأشعري لشيخه الجبائي:

يري بعض العلماء أن الأشعري لم يكن مقتنعا بالفكر المعتزلي وانه كان يناظر أستاذه كثيرا بل يقف منه موقف الخصم العنيد في كثير من الأحيان.

وتدور أشهرها مناظرة بينهما حول: وجوب فصل الصلاح والأصلح على الله وهي فكرة لابد أن كثيرا تساءلون:

1. هل يجب على الله شيء؟.
2. هل جميع أفعال الله تعليلية؟ كيف ذلك وهو سبحانه( لايسأل عما يفعل) وهل يتقيد الفعل الإلهي بضرورة مراعاة مصالح العباد؟ أليس في ذلك تقييد لمشيئته؟.

**أما المناظرة الأولي** والمشهورة وهي منقولة في اغلب الكتب تواريخ الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، ومفادها أن التلميذ( الأشعري ) سال أستاذه (الجبائي) حول إخوة ثلاثة مؤمن وكافر وصبي، فأجاب الجبائي فأما المؤمن فهو من أهل الدرجات، والكافر من أهل الهلكات، والصبي من أهل النجاة.

فقال الأشعري فان أرد الصبي أن يرقي إلي أهل الدرجات هل يمكن؟.

فقال الجبائي: لا، يقال له أن المؤمن قد نال هذه الدرجة بالطاعة وليس لك مثلها، فقال الأشعري: فان قال: التقصير ليس مني، فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن.

قال الجبائي: يقول له الله: كنت اعلم انك لو بقيت لعصيت ولعوقبت، فراعيت مصلحتك وأمتك وقيل أن تنتهي إلي سن التكليف.

قال الأشعري فلو قال الكافر: يارب علمت حاله كما علمت حالي فهلا راعيت مصلحتي، مثله فامتني صغيرا؟ فانقطع الجبائي عن المناظرة وقال لتلميذه انك لمجنون.

**وأما المناظرة الثانية** فكما يرويها السبكي انه دخل رجل على الجبائي فقال: هل يجوز أن يسمي الله تعالي عاقلا؟ فقال الجبائي:لا، لان العقل مشتق من العقال والعقال بمعني المانع، والمنع من حق الله تعالي محال، فامتنع الإطلاق، فقال الأشعري: فعلي قياسك لا يسمي الله تعالي حكيما، لان هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام وهي الحديدة المانعة للدابة عند الخروج.

1. التعارض بين فكر المعتزلة وروح المحدثين:

لقد اتهم المعتزلة رجال الحديث بالحشو، كما اتهموا بعضهم بالتجسيم و التشبيه، فضلا عن اتهامهم بنقد السند دون نقد المتن، وكذلك فقد اتهم رجال الحديث المعتزلة بالإعراض عن الاستناد إلي حديث رسول الله(ص) مما نتج عن ذلك أن اعتكف الأشعري مدة في بيته وادي فيها بين أدلة الفريقين واختار رأيا بعد ذلك رآه صوابا فخرج إلي الناس وقال بأعلى صوته" أيها الناس من عرفني فقد عرفني....وأنا تائب مطلع متصد للرد على المعتزلة".

1. يري البعض أن الأشعري أعجب البدور الذي قام به الإمام الشافعي من التوسط بين أهل الحديث وأهل الرأي، فلقد عمل أبو حنيفة بالرأي والقياس حيث كان الشك في خبر عن رسول الله(ص)، أما مالك فقد اهتم بالحديث معرضا عن الرأي فجاء مذهب الشافعي بين القواعد والفروع فكان مذهبه اقصد المذاهب.

ولذلك حاول الأشعري القيام بدور مماثل في التوسط بين غلو المعتزلة في العقل ووقوف الفقهاء وخاصة الحنابلة منهم عن النقل فهو يري أن يكون متكلما فقيها في أن واحد، وان يجمع بين الفقه والحديث وعلم الكلام لتوحيد الأمة.

الناس من المسلمين، هجروا المعتزلة وفروا من أرائهم، لاستعمالهم القوة في قول المعتزلة، ولذلك جاءت الأشعرية لتظم هذه الفئة من الناس في مذهب الأشعري وبذلك يكون علم كلام متوسط بين الغلو والاعتدال.

**المسائل الكلامية عند الأشاعرة:**

أن الناظر في فكر الاشاعرة يري انها متنوعة وكثيرة فقد عالجت المسائل التي طرحت في تلك الفترة، وكان لبعض الآراء التي عولجت سببا في نفرت الأشعري عن المذهب الاعتزالي، وتقرب من مذهب أهل السنة والجماعة، لذلك يقال لا فرق بين الأشاعرة وأهل السنة وان كان بعض الاختلاف فيعزي ذلك إلي كيفية فهم الدين.

ويمكننا أن ننظر إلي أراء الأشاعرة من زاويتين:

1. ما يتعلق بالله.
2. ما يتعلق بأفعال العباد.

فكيف عالج الأشعري هذين الأمرين؟.

1. **ما يتعلق بالله:**
2. **التنزيه:**ينزه الأشاعرة الله عن كل ما يوهم النقص، وما يشير إلي التجسيم والتشبيه، فالله ليس بجوهر ولا يحسم ولا عرض ولا في مكان ولا في زمان ولا قابل للإعراض ولا محلا للحوادث ولا في جهة، فالله سبحانه لا يشبه أحدا من خالقه ولا يشبهه احد من خلقه، وقد بين هذا الأمر الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه" الإبانة عن أصول الديانة" كما اقتفي الإمام أبو حامد الغزالي وكتب رسالة اسماها" عقيدة أهل السنة" حيث بين تنزيه الله عن أي تشبيه أو تجسيم أو جوهرية أو عرضية...
3. **الصفات:**تؤمن الاشاعرة بان لله صفات قديمة زائدة على الذات، فالله تعالي عالم بعلم، قادر بقدرة، مريد بإرادة، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام. فليست هذه الصفات هي الذات وليست شيئا غير الذات بل هي قائمة عن طريق العقل، ثابتة عن طريق السمع وأقسامه أربعة:
4. **صفات نفسية:**وهي صفة دل الوصف بها على ذات الله تعالي دون معني زائد عليها وهي صفة الوجود ولا يتصور العقل وجود الله بودنها.
5. **صفات سلبية:**وهي تلك الصفات التي يفيد مدلولها عدم نقص لا يليق بالله سبحانه وتعالي أي أن كل واحدة سلبت( نفت أمرا لا يليق بالله عزوجل، ولذلك سميت سلبية) وهي خمس صفات:

* **العقم:** أي لا بدء له ولا أول.
* **البقاء:** أي لا نهاية له ولا آخر.
* **مخالفته للحوادث:** أي لا يماثل شيئا من الكائنات والمخلوقات لا في ذاته ولا في أفعاله.
* **قيامه تعالي بنفسه:**أي ليس صفة يحتاج إلى ذات يقوم بها ولا يحتاج إلي احد يوجده لأنه خالق كل شيء.
* **الوحدانية:**أي لا ثاني له من ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو الواحد الأحد المنزه عن المماثل والشريك والتعدد.

1. **صفات المعاني:**وهي كل صفة دل الوصف بها على معني زائد على الذات أو هي كل صفة قائمة بموصوف توجب له حكما، فقد جاء في كتب الاشاعرة: وهي ليست غير الذات ولا عين الذات ولكنها زائدة على الذات أي أن كلا من الذات المقدمة وصفاتها لا يتصور انفكاك احدهما عن الأخر من حيث الوجود، وان كان مفهوم الذات غير مفهوم الصفة، وعندئذ لا تؤدي إلي تعدد وكثرة لان لا غيرية بين الصفة والذات ولا انفكاك ولا انفصال.

وصفات المعاني سبعة هي: العلم، الإرادة، القدرة، الحياة، السمع، البصر والكلام.

1. **الصفات المعنوية:** وهي الأحكام التي تترتب على ثبوت صفات المعاني، أي هي نتائج صفات المعاني وهي كونه سبحانه: حيا، عالما، مريدا، قادرا، بصيرا، متكلما، سميعا ومن الاشاعرة من أضاف قسما آخر سماه صفات الأفعال وهي تلك الصفات التي تشتق له سبحانه من أفعاله فلأنه خالق، رزاق، محيي، مميت فله الخلق والرزق والإحياء والإماتة...

وأما موقفهم من الصفات الخيرية وقد سموا بالصفائية لإثباتهم صفات الله الواردة في الكتاب والسنة كاليد والتقدم والصورة والجنب والاستواء والنزول والمجيء...فقد افترقوا فيها فرقتين:

**الأولي/** تأويل الصفات الخيرية على وجوه يحتملها اللفظ، يقول الجويني: ذهب بعض أئمتنا إلي أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالي والسبيل إلي إثباتها السمع دون قضية العقل وإذ يصح عندنا حمل اليدين على القدرة وحمل العينين على البصر وحمل الوجه على الوجود.

**الثانية/** لم تتعرض للتأويل ولا صارت إلي التشبيه بل أثبتت لله سبحانه ما أثبته لنفسه، واقتنعت عن تعيين المراد وطريق أثباتها الشرع من غير إسناد إلي العقل، لان العقل يحيل نسبة هذه الصفات على ظاهرها إلي الله تعالي لأنها تؤدي إلي التجسيم، وقد ذهب الاشاعرة في صفة الكلام إلي ا ناهله متكلم وله كلام ولكنهم ميزوا بين نوعية من الكلام، كلام أزلي قديم سموه الكلام النفسي القائم بذاته، وكلام حادث متعلق بالأمر والنهي والخبر فعلي هذا فان القران الكريم كلام الله القديم غير مخلوق ولا حادث ولا مبتدع أما الحروف والأصوات المعبرة عنه فمخلوقة ومبتدعة.

جـ- **الرؤية**: تؤمن الاشاعرة برؤية الله تعالي يوم القيامة، ويستدلون على ذلك بالسمع لان دليل صحة الرؤية هو السمع لقوله تعالي:" وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة" القيامة(22-23) وقد نفي الأشعري أن يكون النظر المقصود في الآية أي معني غير الرؤية ونفي على الخصوص معني الانتظار وهو ما قالت به المعتزلة، واستدل الأشعري بآيات أخري منها قوله تعالي جوابا لموسي عليه السلام حين سال هان يراه.. لن تراني.

فقد تأول الأشعري هذه الآيات فقال: أن العجز من الرائي وليست الاستحالة من قبل المرئي وإلا لقال سبحانه: لست مرئيا، وان ورود النفي بصيغة( لن ) يفيد مجرد النفي دون الاستحالة ولو كانت الرؤية مستحيلة لما سألها نبي.

الله تعالي غني عن خلقه وهو خالقهم ويخلق لا بعلة فهو غني لا يحتاج إلي منفعة أو دفع ضرر وهو حر مختار في فعله فلا يخلق لغرض ولا يعني ذلك عندهم أن خلقه يعد عبثا ويخلو من الحكمة، فهم لا ينكرون كون الباري حكيما بل أن حكمته تتحقق في إتقان صنعه وخلقه وفقا لعلمه وإرادته، لكن ليس مهني الحكيم أمه يفعل ما يفعله لغرض وقصد وليس معني أن لا يفعل لغرض وقصد انه عابث بل خلقه لا يخلو عن الحكمة وان لم يدركها الخلق ولكن لا يجب على الله أن راعي الحكمة والغرض في أفعاله وبهذا فهم ينفون الوجوب على الله بأي صورة أو معني فلا يجب على الله فعل الأصلح لعباده والعوض واستحقاق الثواب والعقاب.

1. **ما يتعلق بأفعال العباد:**
2. يذهب الاشاعرة بالقول إلي أن الله خالق لأفعال العباد والإنسان لا يمكنه أن يخلق فعله لان العبد لو كان خالقا لفعله للزم وجود خالق غير الله، ووجود خالق غير الله محال ويلزم على ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يكون خالق لأفعال نفسه.
3. يري الاشاعرة أن أفعال الإنسان الاختيارية مخلوقة لله تعالي فلا اثر لقدرة العبد من خلقها وإيجادها إلا أنهم أعطوه قدرة على تحصيل الفعل الذي خلقه الله، ويقرون بأثر لقدرة العبد سموها الكسب، وقد عرف الكسب بتعريفات منها:

الكسب هو عبارة عن المقدور بالقدرة الحادثة، وهو هنا بمقابلة الخلق المقدور بالقدرة القديمة.

ويلاحظ على مجموع التعريفات الموضوعة للكسب أنها تدور حول أمرين مهمين هما:

* نسبة قدر من القدرة للعبد تتمثل في اختياره للفعل لوقع الفعل، وفي كونه محلا للفعل وفي كونه مكتسبا للفعل.
* الفرق بين الاكتساب الذي تمثله القدرة الحادثة والخلق الذي تمثله القدرة القديمة فالخلق يعني انفراد الله تعالي بالقدرة، وأما الكسب فلا يعني استقلال العبد بالقدرة.

إلا أن قدرة العبد ليست مستقلة عن قدرة الله وليس لها دور في الخلق والإيجاد فهي تتعلق بالحركة الاختيارية دون إيجادها والقدرة تقارن بالفعل ولا تسبقه فهي عرض والعرض لا يبقي زمانين، فلو كانت قبل الفعل وقع الفعل بقدرة معدومة.

كما يقولون بان القدرة على الفعل لابد أن تكون مقترنة بأسباب يحصل بها الفعل هي: سلامة الأبدان والصحة والمال، ولا يقع التكليف إلا بها ولا تصلح هذه القدرة إلا لفعل واحد فقط فلا تصلح للفعل وضده.

1. وقد ترتب على قولهم السابق قولهم بان الله يجوز أن يكلف عباده مالا يطيقون فهو خالقهم وخالق أفعالهم ولا يجب عليه شيء والعباد ملكه ومن حقه أن يتصرف في ملكه كيف يشاء.
2. **الحسن والقبح:** ويري الاشاعرة أن الحسن والقبح ليسا ذاتيا للفعل ولا يدري كان بضرورة العقل أو بالنظر والاستدلال والعقل لا يحسن ولا يقبح، وإنما الحسن والقبح أمران إضافيان يختلفان باختلاف الأشخاص، بل قد يختلفان عن الشخص الواحد باختلاف أحواله.
3. **القضاء والقدر:** ويري الاشاعرة أن الله تعالي خص المعاصي وقدرها، بمعني أن خلقها وكتبها واخبر عن كونها، ولكنه لم يأمر بها والعلم بالشيء بمعني أن خلقه وأراد وقوعه.
4. يذهب الاشاعرة في مرتكب الكبيرة إلي القول بان المسلم إذا خرج من الدنيا عن غير توبة يكون حكمه إلي الله، إما أن يغفر له برحمته، وأما أن يشفع فيه النبي(ص)، ومرتكب الكبيرة أما أن يعذبه الله بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز أن يخلد من النار مع الكفار.

وإذا كان مرتكب الكبيرة عن كبيرته فان السمع قد ورد فيه ما يشير إلي قبول توبة التائبين، وإجابة دعوة المضطرين، والله هو المالك في خلقه يفعل بهم ما يشاء ولذلك فالله إذا أدخلهم النار فلا يعد ظلما وإذا أدخلهم الجنة لا يعد ظلما كذلك، لان الظلم يقع ممن لا يملك شيئا ويقترف منه أو يضع شيئا في غير موضعه.